السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٤٦)

الرَّسُوْلُ الْعَابِدُ

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى
1425هـ - 2005 م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

إِنَّهُ سَيِّدُ العَابِدِيْنَ ﷺ

تَعَالَوا يا أَيُّهَا الأَحِبَّةُ البَرَاعِمُ لِنَتَعَلَّم العِبَادَةَ مِنْ إِمَامِ العَابِدِيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَفِي سِيْرَتِهِ الطَّاهِرَةِ نَمَاذِجُ كَثِيرَةٌ ، وَذَلِكَ لأَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ أَمَرَنَا بِالاقْتِدَاءِ ، وَالتَّأَسِّي بِهِ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1] .

وَالعَجِيْبُ في مَسْأَلَةِ كَثْرَةِ عِبَادَةِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّ الله قَدْ غَفَرَ لَهُ ذُنُوبَهُ كُلَّهَا ، وَأَنَّهُ حَبِيْبُ اللهِ ،

---

(١) سورة الأحزاب : ٢١ .

وَمُصْطَفَاهُ ، وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ الله عَلىٰ الإطْلاقِ ، فَلِمَاذَا كُلُّ تِلْكَ العِبَادَاتِ يَا رَسُوْلَ اللهِ ؟!

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهِ عَنْهُ ـ قَالَ : جَلَسَ جِبْرِيْلُ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إلى السَّمَاءِ ، فَإِذا مَلَكٌ يَنْزِلُ .

فَقَالَ جِبْرِيْلُ : إِنَّ هَذَا المَلَكُ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْل السَّاعَةِ!

فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ! أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ قَالَ : أَفملكاً نَبِيًّا يَجْعَلُكَ ، أَوْ عَبْدَاً رَسُولاً ؟

قَالَ جِبْرِيْلَ : تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمدُ!

قَالَ ﷺ : « بَلْ عَبْداً رَسُولاً » .

ذَلِكَ لأنهُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْه كَانَ يَعِيشُ الجَوَّ الرُّوْحِيَّ لِلْعِبَادَاتِ ، بِحَيْثُ كان يَسْعَدُ بِلِقَاءِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ ، وَيَرَى أَنَّهُ بِذَلِكَ يُقَدِّمُ

جُزْءاً صَغِيْرَاً مِنْ شُكْرِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ ، فَقِيْلَ لَهُ : مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ هَذَا ؟ أَلَيْسَ قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟!

قَالَ : « أَفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُورَاً » .

هَذَا هُوَ السِّرُّ في إِكْثَارِه صَلَواتُ اللهِ وَسلامُهُ عَلَيْهِ مِنَ العِبَادَاتِ . وَاسْتِغْرَاقِهِ فِيْهَا بِحَيْثُ كَانَ الصَّحَابَةُ الأَكَارِمُ يَعْجَبُوْنَ مِنْ ذَلِكَ.

فَتَعَالَوْا يَا أَحِبَّتي البَرَاعِمَ ، لِنُطِلَّ عَلَىٰ بَعْضِ جَوَانِبِ عِبَادَاتِهِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ ، عَسَىٰ أَنْ نَجْعَلَ مِنْ ذَلِكَ مَيْدانَ تَسَابُقٍ وَتَنَافُسٍ!

* * *

صِفَةُ صَلاةِ المُصْطَفَىٰ ﷺ

كَانَ الرَّسُولُ ﷺ لا يَكْتَفِي بِالصَّلَوَاتِ المَفْرُوضةِ ، بَلْ كَانَ يُصَلِّي كَثِيْراً مِنَ النَّوافِلِ - كالسُّنَنِ وَنَحْوِ ذَلِكَ - ، وَكَانَ يُكْثِرُ مِنَ القِيَامِ وَالصَّلاةِ في اللَّيْلِ ، يَقْرَأُ فِيْهَا آيَاتٍ كَثِيْرَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ ، وَيُكْثِرُ فِيْها مِنَ الدُّعَاءِ لأُمَّتِهِ وَنَفْسِهِ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَائِشَةَ - رَضِيَ الله عَنْهَا - : فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الفِرَاشِ ، فَالْتَمَسْتُه فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَىٰ بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ في المَسْجِدِ ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ ، وَهُوَ يَقُوْلُ : « اللَّهُمَّ ! أَعُوذَ

بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْكَ ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » .

وَأَمَّا عَنْ طُوْلِ قِيَامِهِ صَلَوَاتُ الله وَسلامُهُ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ ، فَيُحَدِّثُنَا حُذَيْفَةُ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ فَيَقُولُ : صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ ، فَقُلْتُ : يَرْكَعُ عِنْدَ المِئَةِ ، ثُمَّ مَضَىٰ ، فَقُلْتُ : يُصَلِّي بِهَا في رَكْعَةٍ ، فَمَضَىٰ ، فَقُلْتُ : يَرْكَعُ بِهَا ، ثُمَّ افْتتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَها ، ثُمَّ افْتَتَح آلَ عُمْرانَ فَقَرَأَهَا ، ثُمَّ افْتَتَحَ المَائِدَةَ فَقَرأها ، ثُمَّ افْتَتَحَ الأَنْعَامَ فَقَرَأَها!!!

يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً ، إذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيْهَا تَسْبِيْحٌ سَبَّحَ ، وَإذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ ، وَإذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ، ثُمَّ رَكَعَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيْم » .

فَكَانَ رُكُوْعُهُ نَحْواً مِنْ قِيَامِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ » ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلاً ، قَرِيْباً مِمَّا رَكَعَ ، ثُمَّ سَجَدَ ، فَقَالَ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلىٰ » فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيباً مِنْ قِيَامِهِ.

وَذَاتَ مَرَّةٍ كَانَ الصَّحَابَةُ مُلْتَفِّيْنَ حَوْلَ الرَّسُولِ ، فصرَّحَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ مُبَيِّناً سرَّ اسْتِغْرَاقِهِ في الصَّلاة وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ : « إِنَّ الله جَعَلَ لِكُلِّ نَبِيٍّ شَهْوَةً ، وَإِنَّ شَهْوَتِي فِي قِيَامِ اللَّيْلِ ، إِذَا قُمْتُ فَلا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ خَلْفِي » .

وَيَرْوِي أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللهِ عَنْهُ حَادِثَةً رَائِعَةً ، نَسْتَدِلُّ مِنْ خِلالِهَا عَلَىٰ صِفَةِ صَلاةِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : صَلَّىٰ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ لَيْلَةً ، فَقَرأَ بِآيَةٍ حَتَّىٰ أَصْبَحَ ، يَرْكَعُ بِهَا وَيَسْجُد بِهَا : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ

عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1] .

فَلَمَّا أَصْبَحَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ! مَا زِلْتَ تَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ حتَّىٰ أَصْبَحْتَ تَرْكَعُ بِهَا وَتَسْجُدُ بِهَا ؟

قَالَ : « إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ الشَّفَاعَةَ لأُمَّتي فَأَعْطَانِيْها ، وَهي نائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ لِمَنْ لا يُشْرِكَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيئاً » .

* * *

(١) سورة المائدة : ١١٨ .

« اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ »

تَعَالَوا أَيُّهَا الأَحِبَّةُ البَرَاعِمُ لِنَتَوَقَّفَ قَلِيْلاً مَعَ صِيَام المُصْطَفَىٰ ﷺ .

إضَافَةً لِشَهْرِ الصِّيَامِ ـ شَهْرِ رَمَضَانَ ـ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُومُ كَثِيْراً صِيَامَ النَّافِلَةِ .

مِثَالُ ذَلِكَ : أَنَّهُ كَثِيراً مَا كَانَ يَصُوْمُ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ ، وَيَوْمَ الخَمِيْسِ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّكَ تَصُومُ حَتىٰ لا تَكَادُ تُفْطِر ، وَتُفْطِرُ حتَّىٰ لا تَكَادُ أَنْ تَصُومَ إلا يَوْمَيْنِ ، إِنْ دَخَلا في صِيامِكَ وَإلا صُمْتَهما .

قَالَ : « أَيُّ يَوْمَيْنِ ؟ » .

قُلْتُ : يَوْمَ الإثْنَيْنِ ، وَيَوْمَ الخَمِيْسِ .

قَالَ : « ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيْهِمَا الأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ العَالَمِيْنَ ، فَأَحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ » .

وَكَانَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عليه يُحِبُّ تأخِيْرَ السُّحُوْرِ ، وَيُحِبُّ تَعْجِيْلَ الإفْطَارِ ، دَلِيْلُ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبو عَطِيَّةَ قَالَ : دَخَلْتُ أَنَا وَمَسْرُوقٌ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا ، فَقُلْنَا : يَا أُمَّ المُؤْمِنِيْنَ! رَجُلانِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَحَدُهُمَا يُعَجِّلُ الإفْطَارَ ، وَيُعَجِّلُ الصَّلاةَ ، وَالآخَرُ يُؤَخِّر الإفْطَارَ ، وَيُؤَخِّرُ الصَّلاةَ .

قَالَتْ : أَيُّهُما الَّذِي يُعجِّلُ الإفطار ، ويُعَجِّل الصَّلاة ؟

قَالَ : قُلْنَا : عَبْد اللهِ بْن مَسْعُودٍ .

قَالَتْ : كَذَلِكَ كَانَ يَصْنَعُ رَسُولُ الله ﷺ .

وَكَانَ صَلَوَات الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ يُفْطِرُ عَلَىٰ التَّمْرِ ، وَإلا فَعَلَى شَرْبَةِ مَاءٍ ، وَإلا فَعَلىٰ قَلِيْلٍ مِنَ اللَّبَن ، وَكَانَ يَقُولُ : « بِاسْمِ اللهِ ، ذَهَبَ الظَّمَأُ ، وَابْتَلَّتِ العُرُوقُ ، وَثَبَتَ الأجْرُ إنْ شَاءَ اللهُ ، اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ ، وَعَلىٰ رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ » .

* * *

وَكَانَ ﷺ يُكْثِرُ مِنَ الدُّعَاءِ والاسْتِغْفَارِ

وَكَانَ ﷺ يَسْتَفْتِحُ الدُّعَاءَ بِالثَّنَاءِ عَلَىٰ اللهِ ، وَيَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ ، وَيُلِحُّ في الدُّعَاءِ ، وَيَسْتَحِبُّ الجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ ، وَمِنَ الأَمْثِلَةِ عَلَىٰ ذَلِك :

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ الله عَنْهُ : ذَاتَ يَوْمٍ كُنَّا مَعَ الرَّسُولِ ﷺ ، فَقَامَ ، واسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : « اللَّهُمَّ زِدْنَا ، وَلا تُنْقِصْنَا ، وَأَكْرِمْنَا ، وَلا تُهِنَّا ، وَأَعْطِنَا ، وَلا تَحْرِمْنَا ، وَآثِرْنَا ، وَلا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا ، وَأَرْضِنَا وَارض عَنَّا » .

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ الله عَنْهُ : كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي

حَتَّىٰ تَجْعَلَهُمَا الوَارِثَ مِنِّي ، وَعَافِنِي فِي دِيْنِي وَجَسَدِي ، وَانْصُرْنِي مِمَّن ظَلَمَني حتَّىٰ تُرِيَنِي فِيْـهِ ثَـأْرِي! اللَّهُـمَّ إنـي أَسْلَمْـتُ نَفْسِـي إِلَيْـكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، لا مَلْجَأَ مِنْكَ إلا إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِرَسُوْلِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ، وَبِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ » .

* * *

الرَّسُوْلُ ﷺ الوَرِعُ

وَكَانَ مِنْ خَوْفِ رَسُولِ اللهِ وَتَضَرُّعِهِ العَجَبُ العُجَابُ ، إِلَىٰ دَرَجةِ أَنَّهُ ﷺ كَانَ كَثيرَ البُكَاءِ ، وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ وَرَعِهِ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو هُريرة قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ : « لنْ يُدْخِلَ أَحَدَاً عَمَلُهُ الجَنَّةَ » ، قَالَوا : ولا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟

قالَ : « لا ، وَلا أَنَا إلا أَنْ يَتَغَمَّدنِيْ الله بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ » .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَنَسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ : مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِتَمْرَةٍ سَاقِطَةٍ ، فَقَالَ : « لَوْلا أَنِّي

أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَدَقَة ، لأَكَلْتُهَا » .

وَخِتَاماً نُرَدِّدُ دُعَاءَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ » .

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

* * *